

## المُسْلِمُ مَعَ أَقْرَبَائِهِ وَذَوِي رَحْمِهِ

### الأَرْحَامُ:

لا يقتصر برّ المسلم على والديه وزوجه وأولاده، بل يتعدّاهم إلى أقاربه وذوي رَحْمِهِ، فيشمل هؤلاء جميعاً ببرّه وإحسانه وحسن صلته. والأرحام: هم الأقارب الذين يرتبطون مع الإنسان بنسب، سواء أكانوا يرثونه أم لا يرثونه.

### حَفَاوَةُ الْإِسْلَامِ بِالرَّجْمِ:

ذلك أن الإسلام حَفِيَ بالرحم حَفَاوَةً ما عرفتها الإنسانية في غيره من الأديان والنظم والشرائع، فأوصى بها، ورغّب في صلتها، وتوعّد مَنْ قطعها.

وليس أدلّ على حفاوة الإسلام البالغة بالرّجم من تلك الصورة الرائعة التي رسمها رسول الله ﷺ للرّجم، تقوم بين يدي الله في الساحة الكبيرة التي خلق الله فيها الخلق، فتستعيز به من قطيعتها، ويحييها الله عزّ وجل إلى سُؤْلِهَا، فَيُصِلُ مَنْ وَصَلَهَا، ويقطع مَنْ قَطَعَهَا، وذلك في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّجْمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢١﴾.

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم تترى مؤكدة منزلة الرّجيم في الإسلام، حاضرة على الإحسان إليها، وإرهاف المشاعر للإحساس بوشائجها وأداء حقوقها، وتوقّي هضم تلك الحقوق أو خدشها أو مسّها بظلم أو أذى، محدّرة من الإساءة إليها. ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٢).

فقد أمر بتقوى الله، وثنى بالأرحام، إعظاماً لها، وتأكيداً على توقيرها، والحنين دوماً إلى نداها وظلّها.

وحسب الرّجيم أهمية ومنزلة في شعور المسلم الصادق أن الأمر بصلتها وبرّها أتى في أكثر الآيات الكريمة بعد الإيمان بالله والإحسان بالوالدين:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٣).

ثم يقول بعد قليل:

﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (٤).

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ (٥).

ومن هنا تأتي مرتبة ذوي القربى في البرّ بعد الوالدين، كما حدّدها

(١) متفق عليه.

(٢) النساء: ١.

(٣) الإسراء: ٢٤.

(٤) الإسراء: ٢٦.

(٥) النساء: ٣٦.

التوجيه القرآني الحكيم، متدرجاً من الأعلى إلى الأدنى في سلم العلاقات الإنسانية، ثم يمتد البرّ من ذوي القرابة ويتسع نطاقه، وينسحب خيره على المحتاجين جميعاً في الأسرة الإنسانية الكبيرة، وهذا ما يوائم طبيعة النفس البشرية التي هي أميل إلى البدء بيزّ الأقربين، ويلائم منهج الإسلام العام في تنظيم المجتمع الإسلامي، إذ جعل التكافل الاجتماعي يبدأ من محيط الأسرة، ثم يمتد إلى دائرة الأقربين، ثم ينساح في محيط الجماعة، في سهولة ويسر، وفي تراحم ورضا وودّ، يجعل الحياة حلوة جميلة شائقة لائقة ببني الإنسان.

وصلة الرحم من المبادئ الإسلامية الأولى، والأصول الكبرى التي طلع بها هذا الدين على الدنيا منذ اليوم الأول الذي صدع فيه رسول الله ﷺ بالدعوة، مبيّناً أسسها، موضحاً معالمها؛ فهي إذاً من أبرز المعالم وأوضحها في شريعة هذا الدين، يشهد لذلك حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل، إذ سأل أبا سفيان: فماذا يأمركم به نبيكم؟ فأجابته: يقول: «اعبدوا الله وحده، ولا تُشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة»<sup>(١)</sup>.

فقد جاءت صلة الرحم في عداد المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف، من توحيد الله، وإقامة للصلاة، والتمسك بالصدق والعفاف. ومن هنا كانت صلة الرحم من أبرز مميزات هذا الدين التي تعرض على أسماع السائلين عنه لأول مرة.

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه الطويل المشتمل على جملة من قواعد الإسلام وآدابه، قال فيه: دخلتُ على النبي ﷺ بمكة، يعني في أول النبوة، فقلتُ له: ما أنت؟ قال: «نبي؟ فقلتُ: وما نبي؟ قال:

(١) متفق عليه.

«أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فقلتُ: بأيِّ شيء أُرْسَلْتُكَ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَّةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ...» (١).

وواضح أن الرسول الكريم في شرحه الموجز لأهم مبادئ الإسلام وقواعده في هذا الحديث قدّم صلة الأرحام، فذكرها في طليعة تلك المبادئ والقواعد، وهذا يوحي بما لها من كبر المنزلة، وعظيم المكانة، في منهج هذا الدين الذي أنزله الله رحمةً للعالمين.

ومن هنا استفاضت النصوص التي تحضّ على صلة الرحم، وترغب فيها، وتحذّر من قطعها، وتتوعد جافياها.

فعن أبي أيوب الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخِلُنِي الجَنَّةَ، فقال النبي ﷺ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» (٢).

فصلة الرحم تأتي مع عبادة الله وتوحيده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في سياق واحد، فهي إذاً من أجل الأعمال الصالحات التي تضمن لصاحبها الجنة، وتقيه من النار.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَاطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي آثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (٣).

فهي إذاً بركة على الواصل في رزقه، وبركة عليه في عمره، تزيد في ماله وتنميه، وتطيل في أجله وتبارك فيه.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

وكان ابن عمر يقول: «مَنِ اتَّقَى رَبَّهُ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ نَسِيَءٌ فِي أَجَلِهِ، وَتَرَى مَالَهُ، وَاحِبَّهُ أَهْلُهُ»<sup>(١)</sup>.

وكما رأينا صلة الرَّجِمِ بركةٌ على صاحبها في رزقه وعمره، ورحمةٌ من الله تتغشاه في دنياه وأخراه، ومَجْلَبَةٌ لمحبة الناس له، والثناء عليه، فإننا نجد بالمقابل قطيعة الرَّجِمِ شَوْماً على صاحبها وبلاءٌ، ومَقْتاً له من الله والناس، وبعُداً له عن الجنة في دار القرار.

وحسب قاطع الرَّجِمِ بلاءٌ وشقاءٌ وحرماناً أن يسمع قول الرسول ﷺ فيه:  
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَجِمٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَحَسْبُهُ شَوْماً وَتَعَساً وَضَلالاً أَنْ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ هُوَ فِيهِمْ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ:

«إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعٌ رَجِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه لا يرضى أن يدعو الله في مجلس فيه قاطع رحم؛ لأنه يحول دون نزول الرحمة واستجابة الدعاء؛ فقد قال في أحد مجالسه عشية يوم خميس، ليلة الجمعة: «أُخْرِجُ<sup>(٤)</sup> عَلَى كُلِّ قَاطِعِ رَحِمٍ لَمَّا قَامَ مِنْ عِنْدِنَا، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ، حَتَّى قَالَ ثَلَاثاً. فَأَتَى فَتَى عَمَّةٍ لَهُ قَدْ صَرَمَهَا مِنْذُ سَتَيْنِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلَّهُ: لِمَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) أي أضيّق وأصبر.

«إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ يَوْمٍ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ قَاطِعٍ رَجِمَ»<sup>(١)</sup>.

إن المسلم المرهف الحسّ، المتطلّع إلى رضوان ربه وسلامة آخرته، لتَهْزُهُ هذه النصوص من الأعماق؛ إذ تَقَرَّرُ أن قطيعه الرحم تحجب الرحمة، وتردّ الدعاء، وتحبط العمل، وإنه لبلاءٌ كبير يحق بالمرء أن يدعو فلا يُسْتَجَابَ له، ويعمل فلا يُرْفَعُ له عمل، وفيء إلى رحمة ربه فتبتعد عنه. ومن هنا لا يُتَصَوَّرُ أبداً أن يكون المسلم الحق قاطع رجم في يوم من الأيام.

إن قطيعة الرّجِمِ ذنبٌ لا يبوء بإثمه مسلمٌ استنار قلبه بهذِي الإسلام، وتفتحت نفسه على طاعة الله ورضوانه؛ ذلك أن قطيعة الرّجِمِ من الذنوب التي يعجل الله بها العقوبة، بل إنها في طليعة الذنوب التي يأخذ أصحابها بها في الدنيا قبل الآخرة، كما جاء في الحديث الشريف:

«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدْخُرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِنْ قَطِيعَةِ الرَّجِمِ وَالبَغْيِ»<sup>(٢)</sup>.

فقطيعة الرّجِمِ والبغي صنوان، ولذا قرنهما رسول الله ﷺ في حديثه؛ ذلك أن قطيعة الرّجِمِ من الظلم، وأي ظلم أشدّ من تقطيع الشوائج، وفصم عرى المحبة، وتجفيف ينابيع الوداد؟!.

ولقد مثل رسول الله ﷺ هذا الظلم يقع على الرّجِمِ بالقطيعة، فقال:

«إِنَّ الرَّجِمَ شِجْنَةٌ<sup>(٣)</sup> مِنَ الرَّحْمَنِ، تَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي ظَلِمْتُ،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ورواه أحمد في مسنده.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

(٣) أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق.

يَا رَبِّ، إِنِّي قُطِعْتُ، يَا رَبِّ، إِنِّي... فُجِيئُهَا: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ وَأَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ؟» (١).

لقد أَعْلَى اللهُ من شأن الرَّجِمِ، إذ جعلها شِجْنَةً من اسمه الرحمن، وكرّمها، إذ اشتقَّ اسمها من اسمه، فقال:

«أَنَا الرَّحْمَنُ، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّجِمَ وَاشْتَقَّقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي. فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّه» (٢).

وفي ذلك إشارة للمسلم المرهف أن واصلها ينعم في ظلال رحمة ربّه الوارفة النديّة البرود، موصولاً منعماً مكرّماً، وأن قاطعها محروم من تلك الظلال، مَبْتُوتٌ شَقِيٌّ مُهَانَ.

المُسْلِمُ وَاصِلٌ رَجِمَهُ حَسَبَ هَدْيِ الإِسْلَامِ :

ومن هنا كان المسلم التقوي الواعي واصلّاً رَجِمَهُ، لا تلهيه الدنيا، ولا المال ولا الزوجة والولد، عن تفقّد ذوي رحمة وقربته، وبرّهم وإكرامهم ومعونتهم، وهو في ذلك يتبع هَدْيِ الإِسْلَامِ الحنيف الذي نَظَمَ هذه الصلّة، فجعلها متسلسلة حسب الأهمية والقرب، فبدأ بالأم، ثم بالأب، ثم بالأقرب فالأقرب؛ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» (٣) (٤).

وإن للمسلم في برّه ذوي القربى لأَجْرَيْنِ، أجرَ القرابة وأجرَ الصدقة، وهذا أدعى أن يتيمّم في عطائه ذوي رحمة، إن كانوا بحاجة إلى المال،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٣) أي الأقرب إليك فالأقرب.

(٤) متفق عليه.

فيغتم بذلك الأجرين عند الله، وخفق القلوب بحبه عند رحمه وذوي قُرباه، وهذا ما حَبَّب به الرسول الكريم ﷺ ودعا إليه في الحديث الذي روته زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قالت: قال رسول الله ﷺ:

«تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُمْ». قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ (١)، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ، فَأْتِيهِ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِيءُ عَنِّي (٢)، وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: بَلِ اثْبِتِيهِ أَنْتِ، فَاَنْطَلِقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: آتِنِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ: أَتُجْزَىءُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَى آيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا (٣)، وَلَا تُخْبِرُهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هُمَا؟ قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ الزَّيَابِ هِيَ؟» قَالَ: امْرَأَةٌ عَبْدَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ، أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» (٤).

ويقول الرسول ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّجْمِ بُنْتَانٌ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» (٥).

ولقد كان الرسول ﷺ يؤكد أفضلية برِّ الأقربين في كل فرصة تسنح، وفي كل مناسبة تمر. فلما نزلت الآية: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِنَّا مِمَّا نُحِبُّونَ﴾ (٦)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن الله

(١) أي قليل المال.

(٢) أي دفع الصدقة لكم.

(٣) أي في ولايتهما.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(٦) آل عمران: ٩٢.

تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وإن أحبَّ مالي إليَّ بَيْرِحَاءُ<sup>(١)</sup>، وإنها صدقةُ الله تعالى أرجو برَّها وذُخْرَها عند الله، فضَعُها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: «بَخْ<sup>(٢)</sup>، ذلك مالٌ رابِحٌ، ذلك مالٌ رابِحٌ! وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: «أفعلُ يا رسول الله، فقَسَمَها أبو طلحة في أقاربه وبني عمِّه»<sup>(٣)</sup>.

وأوغل رسول الله ﷺ في قلب الزمن، موصياً بالرَّجِم المتحدِّرة عَبْرَ القرون والآماد، حينما أوصى بشعب مصر في الحديث الذي رواه مسلم: «سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، فإذا فَتَحْتُمُوهَا فأحْسِنُوا إلى أهلها، فإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَجِمًا، أو قال: ذِمَّةً وَصِهْرًا». وقال العلماء في شرحه: الرَّجِم التي لهم: كون هاجر أم إسماعيل منهم. والصهر: كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم.

فيا لَلوفاءِ والبرِّ، ويا لَلنَّدَى الإنساني يمتد ويتسع حتى يشمل الذراري المتحدِّرة من هاتين الرَّجْمَيْنِ الكريمتين على كَرِّ السنين والأحقاب!

فلا بدع إذاً أن يوليَ المسلم التقي الواعي ذوي رَجِمه اهتماماته كلها، وأن يقبل على برِّهم وصلتهم والإحسان إليهم إقبالَ الربيع الخصب الجواد المعطاء.

يَصِلُ أَرْحَامُهُ وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُسْلِمِينَ:

ويسمو الإسلام في سماحته وإنسانيته، إذ يوصي بصلة الرَّجِم ولو كان الأرحام من غير المسلمين، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن

(١) بريحاء: حديقة نخل.

(٢) بَخْ: كلمة تقال للإعجاب بالأمر وتفخيمه.

(٣) متفق عليه.

العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ جِهَاراً غير سرّ يقول:  
«إِنَّ آلَ أَبِي فَلَانٍ لَيَسُؤُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ،  
وَلَكِنْ لَهُمْ رَجْمٌ أَبْلُهَا بِبِلَالِهَا»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، دعا رسول الله ﷺ قُرَيْشاً، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبِيدِ مَنْافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أُمَلِّكَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَجْماً سَابِلُهَا بِبِلَالِهَا»<sup>(٤)</sup>.

إن ندى العاطفة الإنسانية لا ينقطع من قلب المسلم، بل يتسرب منه إلى ذوي القربى بَلَّةً من رِيِّ الْبِرِّ وَالْعُطْفِ، ولو كانوا على غير دين الإسلام، ومن هنا كان تعبير الرسول الكريم: «غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَجْماً سَابِلُهَا بِبِلَالِهَا» من درر البلاغة العربية؛ إذ شَبَّه الرَّجْمَ بِالْأَرْضِ تَنْدَى بِالصَّلَةِ فَتَشْمُرُ الْمَحَبَّةَ وَالصَّفَاءَ، وَتَجَفَّ بِالقَطِيعَةِ فَتَنْبِتُ الْبَغْضَاءَ وَالْجَفَاءَ، وَالْمُسْلِمَ الْحَقَّ أَلْفَ مَأْلُوفٍ، يَحِبُّهُ النَّاسُ جَمِيعاً، إِذ يَرُونَ فِيهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ مَجْسُدةً حَيَّةً نَاطِقَةً.

ولهذا لم يجد عمر رضي الله عنه حَرَجاً من أن يُهْدِي حُلَّةً بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ الرَّسُولَ ﷺ إِلَى أَخٍ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مُشْرِكاً<sup>(٥)</sup>.

(١) أي أصلها بالمعروف اللاتق بها. والبِلال: الماء، شبه صلة الأرحام بالنداءة والريِّ.

(٢) متفق عليه.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

لقد سبق أن رأينا حضَّ الإسلام على يرِّ الوالدين، ولو كانا مشركين،  
 وها نحن أولاء نرى حضه على يرِّ ذوي القربى، ولو كانوا غير مسلمين أيضاً،  
 وهذا دليل على سماحة هذا الدين وإنسانيته، وليس هذا ببدع في دين،  
 خاطب الله رسوله بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال رسوله:  
 «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

يَفْهَمُ صِلَةَ الرَّحِمِ بِمَعْنَاهَا الْوَاسِعِ :

وصلة الرَّحِمِ عند المسلم الحق الواعي هَدْيٍ دينه لا تكون ببذل المال  
 فحسب، بل هي أعمّ من ذلك وأوسع، إنها تكون ببذل المال للعفاة<sup>(٣)</sup> من  
 ذوي القربى، وتكون بالزيارة التي توطّد أواصر القرابة، وتوثّق وشائج  
 المحبة، وتمدّ في التوادّ والتراحم، وتكون بالتناصح والعون والإيثار  
 والإنصاف، وتكون بالكلمة الطيبة، والوجه الطلق، واللقاء الحسن،  
 والابتسامه السودود، وتكون في غير ذلك من أعمال الخير التي تفجّر ينابيع  
 الحب في القلوب، وتبسط رواق الألفة والتراحم والتكافل على ذوي الرحم  
 والقرابة، ولهذا جاء التوجيه النبوي العالي حاضماً على هذه الصلة في أبسط  
 أشكالها وأقلها كلفة ومؤونة بقوله:  
 «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»<sup>(٤)</sup>.

يَصِلُ رَحِمَهُ وَلَوْ لَمْ يَصِلُوهُ :

والمسلم الحق يصل ذوي رحمة، ولو لم يصلوه؛ ذلك أن واصل الرحم  
 المبتغي بصلته هذه رضوان الله عزّ وجل، والتخلّق بالخلق الإسلامي السامي

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ.

(٣) أي الفقراء.

(٤) رواه البزار عن ابن عباس، وطرقه يقوي بعضها بعضاً.

لا ينتظر على صلته هذه أن يُكافأ بمثل فعله، فهو واصل دوماً لرحمه وذوي قرابته، وَصَلَوْهُ أَمْ لَمْ يَصِلَوْهُ، ضارباً بخلقه الإسلامي الإنساني الرفيع المثل الأعلى على صياغة الإسلام للإنسان، صياغة تجعله إنساناً راقياً سامياً، في تعامله مع أقربائه وذوي رحمه في جميع الأحوال. وقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى في المسلم الحق الصادق إذ قال:

«لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعْتَ رَجْمَهُ وَصَلَّاهَا»<sup>(١)</sup>.

وجاء الهَدْيُ النبوي الكريم يعزّز خلق الحلم والصبر والعفو والسماحة في نفس واصل الرحم الذي يصل قرابته، فلا يقابلونه إلا بالقطيعة والجفاء والإساءة، إذ قرّر أن الله مع مَنْ يصل الرَّجْمَ فلا يُجَازَى على صلته بمثلها، ورسم صورة مخيفة للإثم الذي يلحق الجفأة المنكرين للمعروف المقطعين للأرحام؛ فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلمُ عنهم ويجهلون عليّ، فقال:

«لَيْتَنَ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ»<sup>(٢)</sup>، ولا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

أرأيتَ إلى واصل الرَّجْمِ الصابر على جفاء وقطيعة ذوي قرابه كيف أمّده الله بظهير من عنده يعينه عليهم، ويملاً قلبه بالصبر على أذاهم، وبشبهته على الاستمرار في خلقه الإنساني النبيل؟ وكيف شبّه الرسول الكريم ما يلحق

(١) رواه البخاري.

(٢) أي الرّماد الحار.

(٣) رواه مسلم.

أولئك العتاة الجفاة المسيئين من الإثم بما يلحق أكل الرماد الحار من الألم،  
 جزاء ما اقترفوه في حق هذا المحسن الكريم الودود من تقصير وإساءة وجفاء؟  
 من هنا كان المسلم الحق واصلاً رَجِمَهُ على كل حال، متطلعاً دوماً إلى  
 مرضاة ربّه في هذه الصلّة، مترفعاً أبداً عن الجهالات والحماقات والإساءات،  
 تبدر بين الحين والحين من ذوي قرابته، معرضاً عن الصغائر والتفاهات التي  
 تشغل الصغار من الناس، وتوغر منهم الصدور. فالمسلم التقي الواعي أكبرُ  
 من أن يصغي لهذه الجهالات والحماقات والصغائر والتفاهات، فتؤثر على  
 علاقته بذوي رَجِمه وبرّه بهم، وهو يسمع قول الرسول الكريم:

«الرَّجِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي  
 قَطَعَهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) متفق عليه.